التعامل النفسي الاسرائيلي

محمد جمال الدين العلوي
استاذ مساعد
كلية القانون – جامعة الموصل

مقدمة

مرّ التعامل النفسي بمراحل عديدة متطورة وأضحى اليوم بعد هذا التطور من أشد الاسلحة التي تستخدمها الدولة بشكل فعّال للتعامل في الداخل والخارج. ففي الداخل ركزت الدول على هذا التعامل لانه في الأصل عبارة عن قنوات اتصال تربط الجماهير وتشدها شداً نحو السلطة التي تتعامل معها. وهذا التعامل في الخارج سلاح من الاسلحة الرئيسية التي تستخدمها الدول في سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية.

وقد اصبح التعامل النفسي «بسبب تطورات الصراعات السياسية في العالم وبفضل تقدم العلوم المختلفة واستخدام نتائجها في جميع حقول الاحتكاك والقتال والتنافس فناً معقداً وعلماً له نظرياته ومدارسه واختباراته وألاعيبه»[1]. وقد برعت الصهيونية في الافادة من هذا الفن وفي استخدام هذا العلم حيث نجد ان (اسرائيل) قد ارتكزت بشكل فعّال على هذا العنصر الرئيس، بل ان تاريخ الصهيونية كان عبارة عن تثبيت لنمط خاص من التعامل النفسي، والأكثر من ذلك كله ان ما لاتستطيع (اسرائيل) إنجازه بالعمليات العسكرية فانها تستطيع انجازه بحشد من العمليات النفسية دون ان تخسر جندياً واحداً.

مما تقدم فان هذه الدراسة محاولة للتعرف اولاً على طبيعة التعامل النفسي وأهم وسائله، وثانياً الكشف عن مدى اهتمام الحركة الصهيونية بهذا الموضوع من اجل اقامة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين العربية توضح فلسفة الدعاية الصهيونية وصولاً الى تبيان واقع التعامل النفسي الاسرائيلي بعد قيام الكيان الصهيوني بوصفه سلاحاً من الاسلحة الرئيسية المستخدمة في الصراع العربي الاسرائيلي.

اولاً: طبيعة التعامل النفسي ووسائله

قبل الولوج في لب الموضوع والبحث في اصوله، لابد من إلقاء نظرة على مصطلحات متعددة للتعامل النفسي زخرت بها المراجع التي تناولت هذه المواضيع. وهي مما يصعب التميز الواضح بينها، وذلك لتداخل كل من تلك المفاهيم مع الاخرى، وهذه المصطلحات: (الدعاية – الحرب النفسية – الحرب الباردة – حرب الايديولوجيات – حرب معلومات – الدعوة العقائدية – التسميم السياسي[2] – غسل الدماغ

Brainwash) والذي يهمنا من بين هذه المصطلحات هو: (الدعاية – الاعلام – الحرب النفسية) فلذا سوف نتناولها بالتعريف تباعاً.

(١) الدعاية Propaganda

الدعاية مفهوم حديث نسبياً بالرغم من ان مدلوله قديم تاريخياً، والدعاية في المعجم عند المحدثين تعني «نشر الدعوة لشخص او لحزب او لمبدأ او غير ذلك ومنها – وزارة الدعاية – دائرة الدعاية»[٣]. وقد تطور مفهوم الدعاية تاريخياً وظهرت محاولات كثيرة لوضع تعريف لـ (الدعاية) ومدى ارتباطها بالعلوم الانسانية[٤]. أورد الدكتور حامد ربيع تعريفاً للدعاية، حيث قال: «الدعاية ويقصد بها عملية الاثارة النفسية بقصد الوصول الى تلاعب معين في المنطق»، ويتساءل «فاذا بنا أزاء استجابة ما كان يمكن ان يحدث لو لم تحدث هذه الاثارة العاطفية»، ويعود قائلاً «الدعاية بهذا المعنى لاتفترض سوى التلاعب بالمنطق كما تتجه الى الصديق فانها تتجه الى غير الصديق»[٥].

ويعد الهدف او الغاية من الدعاية هو الاساس الذي يتحكم بها دون الوسيلة، والوسيلة تعتبر ناجحة بقدر ما تحقق من الهدف[٦].

وبما ان الدعاية تعد صورة من صور الحرب النفسية التي تستهدف التأثير في الرأي العام، فللدعاية انواع، وتعد الدعاية السياسية اهم انواع الدعاية[٧]، ويشير الدكتور حامد ربيع الى ان الدعاية السياسية قد اضحت احدى ادوات السياسة الخارجية لاية دولة معاصرة تستخدم كأداة من ادوات الوظيفة الدبلوماسية[٨].

(٢) الاعلام

هنالك مصطلحات هي في الواقع عناصر مساعدة في الدعاية، ولها صلة وثيقة بوسائل الاتصال بالجماهير مثل، الاعلام Inrormation التوجيه او الارشاد Instructions والاستعلام Inquiry، غير ان الخلط واللبس يقع دائماً بين الدعاية والاعلام اللذين يستخدمان وكأنهما مترادفان في المعنى، ولكن هنا مفهوماً للدعاية كما رأينا ومفهوماً آخر للاعلام يقصد به «تلك العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي ترتكز على الصدق والصراحة ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية والارتقاء بمستوى الرأي العام، وذلك بتنويره وتثقيفه لاتخديره وخداعه»[٩].

(٣) الحرب النفسية

ورد تعريف للحرب النفسية في قاموس المصطلحات الحربية الذي اصدرته وزارة الدفاع الاميركية عام ١٩٥٥ بأن «الحرب النفسية استخدام مخطط من جانب دولة او مجموعة دول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية التي تستهدف جماعات معادية او محايدة او صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة او الدول المستخدمة لها واهدافها»[١٠].

ويعطي د. حامد ربيع تعريفاً لها في قوله «الحرب النفسية في اوسع معانيها تعني تحطيم النواحي المعنوية في الخصم بجميع الوسائل للقضاء على آية صورة من صور الثقة بالنفس التي قد تولد المقاومة او عدم الاذعان والاستسلام»[١١] ومن هذا التعريف تتضح لنا خاصيتان للحرب النفسية هما :

١ – انها لاتسعى للاقناع ، سواء الحقيقي او المقنع ، وانما هدفها الوحيد والاساس هو تحطيم القوى المعنوية للخصم موضع الهجوم.

٢ – انها لاتتجه الاّ الى الخصم.

وتقوم الحرب النفسية على ثلاثة عناصر رئيسة هي : الاشاعة ، افتعال الازمات ، اثارة الرعب[١٢].

مما تقدم نرى ان الاهتمام بظاهرة التعامل النفسي وجدت منذ القديم في تاريخ الانسانية ، لكن الربع الأخير من القرن العشرين فرض على هذه الظاهرة تطورات جعلت من التعامل النفسي المنطلق الحقيقي ليس في نطاق العلاقات الفردية داخل المجتمع وانما في نطاق العلاقات الدولية ، وان العلاقات الدولية لم تعد علاقات انظمة حاكمة ، وانما اضحت ايضاً بل واساساً علاقات شعوب واتصال حضاري[١٣]. و(اسرائيل) بتخطيط ذكي وبارادة ثابتة تسعى مستغلة في هذا مجموعة من الظروف الدولية والمتغيرات الى تفتيت الحضارة العربية وتسميم العقل العربي وافناء الارادة العربية»[١٤] ، وانها تتبنى «ستراتيجية الرعب» في تعاملها النفسي مع العرب[١٥].

ثانياً : واقع التعامل النفسي الاسرائيلي

(١) الحركة الصهيونية والتعامل النفسي

اهتمت الصهيونية السياسية منذ بداياتها الأولى بعملية الدعوة ، وكان قادتها دعاة اكثر من كونهم زعماء سياسيون ، تيودور هرتزل مثلا يصفه نيومان بأنه أعد ليكون قائد دعوة من الطراز الأول . وعلى الرغم من كتابته مؤلفه «دولة اليهود» الذي تضمن عناصر العقيدة

الصهيونية فانه حاول عن طريق قصته المشهورة «الأرض الجديدة القديمة» ان يخلق قنوات الاتصال الدعائي ، كما عرفها العالم في تلك الفترة ، أي من خلال اللغة الرومانسية السياسية. وهناك جابوتنسكي (رجل الفاشستية الصهيونية) ، الذي كانت حياته خليطا من الدعاية والدعوة اكثر من ان توصف بقيادة سياسية بالمعنى التقليدي. وكان كثير التنقل للقيام بحملات دعائية ، فضلا عن ادارته للصحافة العبرية في القسطنطينية ، وجعله من الاعلام المكتوب أداة لخلق حركة الاقتناع والايمان مع الاقلية اليهودية الموجودة في تلك المنطقة. وهناك آخرون كانوا ينشطون دعاة للحركة الصهيونية.

في التاريخ المعاصر، ليس ثمة دعوة سياسية ارتبطت بعد تأسيسها بالعمل الدعائي والتعامل النفسي مثل الصهيونية السياسية ، وهذه الناحية لم تقتصر على ان تكون احدى وسائل الحركة ، بل تتابعت مع نفس العقيدة الصهيونية في ديالكتيكية مستمرة تبرز تارة فتسيطر على نفس العقيدة وتختفي تارة أخرى ، فاذا بالدعوة محور وجوهر الانطلاق السياسي ، وهناك اسباب عدة أدت الى ذلك التلاحم والذي يهمنا من هذا التلاحم مايجب التنبيه اليه بشكل واضح هو التمييز والتفرقة بين الدعاية الصهيونية وما تتضمنه من كذب والدعوة الصهيونية وما تفرضه من حقائق في عناصر العمل السياسي ، لأن هذا وحده يسمح باكتشاف الابعاد الحقيقية للمذهبية التي تستتر خلف الحركة الصهيونية[١٦] . ويمكن الكشف والتمييز بين الدعاية والدعوة الصهيونية من خلال النداءات التي وجهتها الحركة الصهونية منذ قيامها ولغاية عام ١٩٤٣ والتي تضمنت مايأتي :

١ – الدولة اليهودية أمر لابد منه فنبوءات التوراة وحاجة العالم الصارخة والأعمال التي حققتها اليهودية تطلب جميعها الحل بانشاء دولة يهودية.

٢ – الصهيونية تجعل اليهودية مستمرة وتمكن من بناء اليهود كجماعة مستقلة عن غيرها.

٣ – ذلك ان اليهود اينما وجدوا يشكلون شعبا واحدا ، ومهما يحدث لليهود في بلد ما لابد وأن يؤثر على وضعهم في البلاد الاخرى.

٤ – والصهيونية هي في الواقع شرط الشرف اليهودي.

٥ – الصهيونية وسيلة بناءة لحل القضية اليهودية. ان تقرير المصير خير من الاحسان المتواصل. وعلى اليهود ان يعتمدوا على أنفسهم في حل قضيتهم لا على ضمير العالم وشفقتهم.

٦ – أليست الصهيونية تعني الانسجام مع تاريخ الشعب اليهودي ومصيره؟

٧ – هذا فضلا عن ان الصهيونية سوف تضع حدا للاسامية. ولو قدر للاسامية ان تبرز

مرة أخرى الى حيّز الوجود ، فإن اليهود بشعورهم بملكية وطن قومي سوف يضعون حداً لذلك التحزب غير المنطقي.

٨- الواقع ان الحل الصهيوني ليس الاّ تأكيداً للعدالة التاريخية. والدولة اليهودية ليست سوى تعويض عن المذابح التي لاتحصى.

٩- ان ماتحقق من أعمال على ايدي الرواد في فلسطين هو نجاح عظيم ومثال حي للجنس البشري بأسره. وهذه الأعمال التي حققت في فلسطين من شأنها ان تقوي عزة النفس اليهودية وكرامتها»[١٧].

ومن هذه النداءات يتبين لنا ان الدعوة الصهيونية قد اتصفت بأنها تحقق مايأتي :

١- السعي الى المنطق الذاتي الصافي الذي تخاطبه.

٢- السعي الى الحقيقة.

٣- مخاطبة اليهودي المؤمن.

٤- الدعوة تعني الالتزام.

اما الدعاية الصهيونية على ضوء هذه النداءات فقد اتصفت بأنها تحقق مايأتي :

١- خلق شحنة انفعالية.

٢- لاتتردد بالكذب.

٣- العمل على ان تأسر العدو.

٤- تفرض متابعة موضع التوجه النفسي باصرار واضطرار خوفا من اكتشاف التلاعب والافلات من دائرة الحصار الفكري[١٨].

وبعد ان وصلت الدعوة الصهيونية أهدافها ، ومنذ ان تسلم (أبا هيلل سلفر) زعامة المنظمة الصهيونية في شهر آب ١٩٤٣ ، اصبحت الدعاية الصهيونية تتركز على :

١- مخاطبة مراكز القوى في المجتمع السياسي الدولي وبذل الجهود المستمرة للتأثير على تلك القوى وكسبها الى صفها.

٢- مخاطبة الرأي العام من خلال مداخل معينة تجعل من السهل على الرأي العام الاستجابة لها ، ومثال ذلك كتاب «فلسطين أرض الميعاد» لمؤلفه لودر ميلك.

٣- التركيز على النواحي الدينية في الحركة الصهيونية مستندة بذلك الى ماجاء بالتوراة «في ذلك اليوم بت الرب مع ابرام عهدا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات»[١٩].

٤- الاتجاه بقوة وعنف الى عملية التكتيك الجماهيري للدعاية[٢٠].

(٢) (اسرائيل) والتعامل النفسي

بعد قيام (اسرائيل) عام ١٩٤٨ كان من الطبيعي ان يحصل تغير كامل وجذري في اسلوب التعامل النفسي ، وذلك لأن الصهيونية كانت حركة سياسية و (اسرائيل) كدولة أصبحت الاداة النظامية ذات الفاعلية الدولية كعضو في المجتمع الدولي بعد قبولها في الأمم المتحدة وما ترتب على ذلك بالنسبة الى وضعها القانوني في محيط العلاقات الدولية [٢١] ،

وعلى هذا فان اتجاهات التعامل النفسي بعد قيام الدولة كانت تهدف الى :

١ – الوجود النظامي اليهودي في منطقة الشرق الاوسط بحاجة الى ربط هذا الواقع بالسياسة الدولية .

٢ – الدفاع عن المصالح الاسرائيلية في المنطقة وربطها بمصالح الدول الغربية .

٣ – تصوير منطقة الشرق الأوسط بأنها منطقة فراغ .

٤ – تصوير موقف العرب بأنه موقف « غير انساني » من الوجود الاسرائيلي وابراز ذلك .

٥ – اعتماد سياسة الدفاع عن النفس لضمان الوجود الاسرائيلي في المنطقة وأمنه ، وهذا ماجعل السياسة الخارجية لـ (اسرائيل) في نطاق العلاقات الخارجية تطلق على تلك السياسة « الحق في المبادرة للدفاع عن النفس » "Anticpatory Right of Self– defence" وهذا الحق اصبح الاساس فيما بعد لصياغة الحرب الوقائية [٢٢] .

ورأت (اسرائيل) بأن عملها كدولة ليس استمرارا للعمل الذي تقوم به المنظمة الصهيونية ، وذلك لأنها اصبحت دولة ولها سياستها ، فيجب ان ينفصل تعاملها ودعايتها عن التعامل والدعاية الصهيونية ، وأن تسير كل منها في طريق مستقل لخدمة قضية واحدة [٢٣] .

ويقدم لنا د. حامد ربيع أربعة افتراضات تمثل البديهيات المطلقة التي تتحكم في تأصيل نظرية التعامل النفسي في التقاليد الصهيونية :

« أولاً : الرابطة العضوية بين المنطلق الصهيوني والادارة الدعائية الصهيونية .

ثانياً : علاقة الاستمرار بين السياسة الخارجية الاسرائيلية وعملية المساندة الاعلامية .

ثالثاً : مبدأ توزيع الادوار كأحد دعائم العمل السياسي الاسرائيلي .

رابعاً : نسبة الترابط بين الأهداف الحركية للسياسة الخارجية الاسرائيلية والسياسة الاميريكية في منطقة الشرق الاوسط » [٢٤] .

وفي ضوء ماتقدم نحاول الكشف عن بعض من أساليب التعامل النفسي الاسرائيلي من خلال بحث نماذج معينة ؛ تحويل (اسرائيل) عقدة الذنب الى عقدة المسؤولية ، المحافظة

على حيوية الاعلام الاسرائيلي داخل المجتمع الغربي ، هدف (اسرائيل) من التغطية الاعلامية الواسعة عن اعمال قامت بها صراحة عملية مطار «عين تيبة» ، ضرب المفاعل النووي العراقي .

- تحويل عقدة الذنب الى عقدة المسؤولية

اتخذت (اسرائيل) من عقدة الذنب احد منطلقاتها المترتبة والمتبلورة حول المنطلق الانساني في تأصيل الدعوة الصهيونية ، وهذه العقدة التي خلقتها الدعاية الاسرائيلية ، وطورتها الى اقصى مراحل القوة في عملية التبكيت والتذكير بالخطيئة في بعدين ،الاول تتجه به مباشرة الى المجتمع الاوربي والثاني تتجه به الى المجتمع الألماني . فبدءً من عام ١٩٦٧ تحولت الدعاية الاسرائيلية الى نموذج من نماذج خلق التوتر النفسي لاستغلال عملية الشحن العاطفي كمنطلق لسلوك جديد للتعامل مع أوربا وألمانيا ، فهي (اسرائيل) لم تعد تتحدث عن عقدة الذنب وان تحدثت عن ذلك فباسلوب مخفف ، ويختفي دون تضخيم او تقوية ويقول د. حامد ربيع «ان خطيئة الأمس قد اختفت وقدمت لما نستطيع أن نسميه عقدة المسؤولية» ويبين لنا معنى عقدة المسؤولية فيقول بأنها «تذكير الفرد بأنه يحكم وضعه وحضارته . بحكم صفاته القيادية وتاريخه القديم والحديث يتحمل عبئا يفرض عليه حركة ايجابية اكثر مما يبدو، وقد اعدته لذلك قدراته وامكاناته . (اسرائيل) تستغل هذه الناحية لتذكير الأوربي بأنه مصدر الحضارات وأنه مسؤول عن تطور الانسانية ، وان هذا يفرض عليه عملا ايجابيا يعكس عظمته التاريخية ويؤكد حقوقه المشروعة في المنطقة وهي بهذا الشكل تحقق اكثر من غاية واحدة في وقت واحد»[٢٥] ، و(اسرائيل) تهدف من وراء ذلك مايلي :

١- تجنب عملية الضغط النفسي المستمر في اتجاه واحد لو ظلت تركز على عقدة الذنب واستبدال ذلك بالتذكير بعقدة المسؤولية التي لاتتضمن اثارة بقدر ماتحمل من الشحنات الانفعالية في الجانب الايجابي لصالح (اسرائيل) .

٢- خلق حالة من التملق للرأي العام الاوربي وجعله يتحرك وكأنه صاحب القرار النهائي في منطقة خطرة ، الصراع فيها له طابعه الدولي الواضح[٢٦] .

- المحافظة على حيوية الاعلام الاسرائيلي

ان (اسرائيل) تقوم بالمحافظة على حيوية الاعلام الاسرائيلي داخل المجتمع الغربي عن طريق تغلغل النفوذ اليهودي داخل المؤسسات الغربية على نحو يثير الاهتمام . وهذا النفوذ يتخذ صيغا مختلفة في التحكم في حركة هذه المؤسسات واتجاهاتها . وقد تتعرض

المؤسسات الى مخاطر الانحسار، بل والضياع التام في حالة تصديها الى (اسرائيل) او الحركة الصهيونية، ويقدم لنا فارس المنصوري في بحثه «الأساليب الصهيونية في الضغط والتحريف» مثالا عن حيوية الاعلام الاسرائيلي والاساليب التي يعتمدها. اذ يفترض قيام احد الاشخاص او المراسلين في احدى الصحف البريطانية بنشر مقال ينال من سمعة (اسرائيل) كدولة ديمقراطية تسود فيها المبادئ الانسانية، فان الاعلام الاسرائيلي ينشط بالرد على ذلك المقال متبعا الأساليب التالية:

١ – امتلاء اعمدة الصحف في الاعداد التالية بالاحتجاج والاستذكار والتذكير بالملايين الستة من اليهود في المانيا النازية، ويتم الرد من قبل اسرائيليين محترفين، لا كما يتبادر الى ذهن الرأي العام بأن رسائل الاحتجاج هي من قراء عاديين.

٢ – قيام الاعلام الاسرائيلي بالاتصال بالشخصيات البارزة غير الصهيونية طالبين منهم الكتابة في الصحف او في الأقل التوقيع على رسائل جاهزة.

٣ – توجه وفد من الشخصيات اليهودية المعروفة من المنطقة التي تصدر بها الصحيفة التي نشرت المقال لمقابلة رئيس تحريرها. ويبدي الوفد استياء الجالية من موقف الصحيفة المعادي للشعب اليهودي.

٤ – قيام بعض الشركات والمؤسسات اليهودية بالاعراب عن استيائها وتهدد بسحب اعلاناتها من تلك الصحيفة.

٥ – تحريض عدد من القراء المشاركين في الصحيفة للكتابة بها طالبين الغاء اشتراكاتهم.

٦ – الاتصال الهاتفي بكاتب المقال والتهجم عليه وتهديده.

وبعد اسابيع من هذه الحرب النفسية تنتهي الحملة مع انتهاء دور الكاتب رجلاً يتمتع بحرية الرأي والشجاعة المعنوية وان احد الصحفيين الذين تعرضوا لمثل هذه الحملة هو «مايكل إدمز» مراسل الغارديان في الاقطار العربية و(اسرائيل) سابقا. وعلى الرغم من عدم نجاح اجهزة الاعلام الاسرائيلي من اسكاته، الا انها سدت امامه ابواب الصحافة البريطانية وأرغمته على استقلاله الصحفي ليصبح ناطقا بلسان العرب عندما ترأس مجلس التفاهم العربي البريطاني وتولي تحرير مجلة (ليدل ايست انترناشنال) الممولة بأموال عربية. وهذا ماأرادته اجهزة الاعلام الاسرائيلي لتثبت وتؤكد للجمهور بأن مايكل ادمز كان أساساً عميلاً للعرب[٢٧].

هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان المهمة الرئيسية لاجهزة الاعلام الاسرائيلي في المجتمع الغربي هو التأثير على الصحافة الغربية في مجال دعم الصهيونية و(اسرائيل) باتجاه بقاء المشكلة اليهودية قائمة[٢٨].

– تغطية عملية مطار «عين تيبه» اعلاميا

في يوم ٢٧ / حزيران / ١٩٧٦ غادرت احدى طائرات الخطوط الجوية الفرنسية في رحلتها (١٣٩) مطار بن غوريون الكائن بالقرب من تل أبيب ، وكان في داخلها ٢٤٥ راكباً منهم ١٨٣ اسرائيلياً ، وكانت وجهتها الى باريس مرورا بأثينا . وعند ظهر ذلك اليوم هبطت في مطار أثينا ، ثم أقلعت باتجاه باريس ، وبعد عشرة دقائق تم اختطافها من قبل جماعة اطلقت على نفسها «تشي جيفارا ووحدة غزة» وحوّل المختطفون مسارها باتجاه افريقيا وهبطت في فجر يوم الأثنين ٢٨ / حزيران في مطار عين تيبه في اوغندا بعد ان مرّت في ليبيا ، وعلى اثر ذلك اذاع راديو كامبالا مطاليب المختطفين المتضمنة الافراج عن الرهائن في الطائرة اذا ماتم الافراج عن (٥٣) سجيناً سياسياً منهم (٤٠) في (اسرائيل) و (٦) في المانيا و (٥) في كينيا و (١) في سويسرا و (١) في فرنسا . وعلى الفور اتخذت الاجراءات في (اسرائيل) من اجل احباط هذه العملية ، وقامت بتنفيذ غارة جوية اطلق عليها اسم (البرق) في يوم ٣ / تموز / ١٩٧٦ اذ بدأت الغارة قبل منتصف الليل بنصف ساعة ، واستمرت (٩٠) دقيقة .

وانتهت هذه الغارة بانقاذ ركاب الطائرة الفرنسية ومقتل ثلاثة من المختطفين وجرح رابعهم ، وعدّت الغارة عملاً عسكرياً ناجحاً ، وان الذي ساعد على نجاح هذه الغارة امتلاك (اسرائيل) كافة المعلومات عن هذا المطار عندما كانت هناك علاقات بينها وبين اوغندا[٢٩] .

واستغلت (اسرائيل) هذا النجاح العسكري لهذه الغارة لاغراض الحرب النفسية ، خاصة في المجالات التالية :

١– دعم معنويات جنود جيش الدفاع الاسرائيلي المنهارة بشكل خاص ، والصهاينة بشكل عام ، بعد ان انهارت هذه المعنويات نتيجة انتصار الجندي العربي في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، تلك الحرب التي اسقطت من حسابات النزاع اسطورة التفوق الجوي الاسرائيلي .

٢– توجه (اسرائيل) بهذه الغارة لبعض قادة الدول الافريقية الذين يسعون الى تحسين علاقاتهم مع الاقطار العربية ومحاولة تخويفهم .

٣– استغلت هذه الغارة لاظهار (اسرائيل) بمظهر الدولة التي تدافع عن المصالح الاوربية والاميريكية في المنطقة ، وذلك لأن الطائرة المخطوفة فرنسية .

٤– هذه الغارة في وقتها عدّت حملة دمجت مع الحملة التي شنتها الولايات المتحدة الاميريكية بالتهديد لاحتلال منابع النفط في منطقة الخليج العربي وامكانية مشاركة (اسرائيل) في ذلك في محاولة لكسب المزيد من المساعدات العسكرية

والاقتصادية والسياسية من الدول الغربية ، خاصة الولايات المتحدة الامريكية .

ولغرض تحقيق هذه الأهداف وأهداف اخرى ، فقد أعد العديد من المقالات والدراسات لتغطية هذه العملية اعلاميا ، ونشرت بلغات أوربية ، ومن هذا نلاحظ بأن ما كتب عن العملية ليس موجها للقارئ الصهيوني بقدر توجهه للقارئ الاوربي ، ومن ثم ترجمته الى لغات اخرى خاصة اللغة العربية .. فضلا عن ذلك فقد قامت المؤسسات الصهيونية بانتاج عدد من الأفلام التي تصور العملية وتعطيها حجما عسكريا اكبر بكثير مما تستحقه .

- الهدف من نشر كتاب «دقيقتان فوق بغداد»*

في عام ١٩٨٢ صدر كتاب بعنوان «دقيقتان فوق بغداد» ، عن دار نشر «فالتين- ميتشيل» في لندن . تأليف ثلاثة علماء متخصصين بمواضيع الاستراتيجية العسكرية والنظريات النووية هم (اموس بيرلموتر، مايكل هاندل ، وأورى بار- جوزيف) ، اثنان منهم اسرائيليان . ويعرض الكتاب مواضيع متعددة تكشف عن طبيعة التفكير الاسرائيلي تجاه الامة العربية واهدافه في ابقاء العرب في حالة تخلف وتجزئة امام التفوق الاسرائيلي . ويتضمن الكتاب اربعة أجزاء :

١- بحث الجزء الاول مشاريع التسلح النووي في كل من (اسرائيل) ومصر وبعض الدول في المنطقة .

٢- تناول الجزء الثاني محاولات (اسرائيل) لاحباط مشروع العراق لامتلاك التقنية النووية للاغراض السلمية .

٣- وصف الجزء الثالث الذي هو عنوان الكتاب ، العملية التي قامت بها (اسرائيل) عند ضرب المفاعل النووي العراقي في ٧ تموز ١٩٨١ بشكل تفصيلي . والتي اطلق عليها عملية بابل (Operation Babylon) .

٤- وعالج الجزء الرابع من الكتاب ردود فعل العملية الاسرائيلية على مختلف المستويات .

ان هذا الكتاب والكتب الأخرى التي تصدر على شاكلته باشراف المخابرات الاسرائيلية تتضمن في ثنايا السطور الكثير من التسميم النفسي ، ومن دراسة وتحليل لما ورد في كتاب «دقيقتان فوق بغداد» ان هناك اهداف معينة من نشره ، وانها تمثل صورة من صور التعامل النفسي الاسرائيلي :

* Amos Perlmulter, Michael Handel and Uri Bar-Joseph, Two Minutes Over Baghdad, Great Britain, 1982.

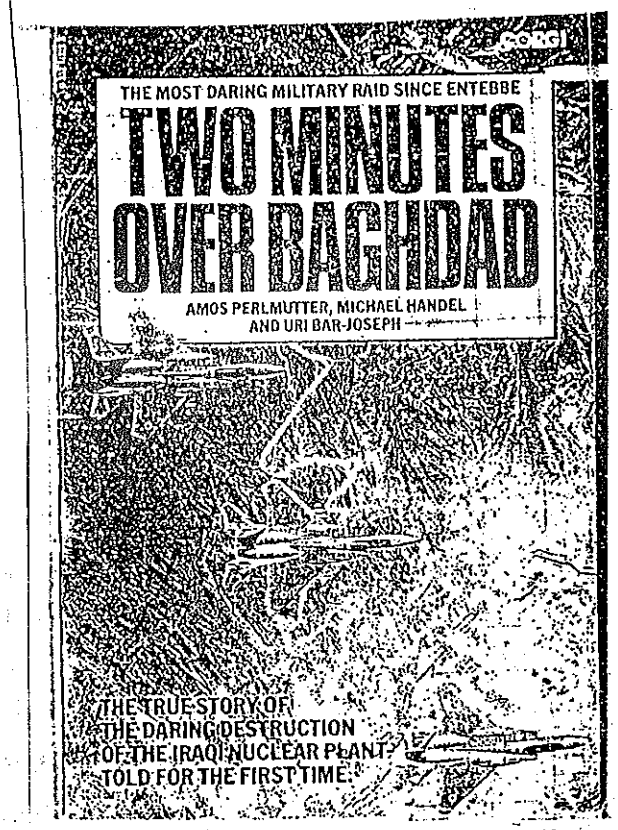

١- كشف تآمر أطراف ضد أطراف أخرى لتكريس حالة التمزق وغياب الموقف الموحد وخلق العداء الدائم بينها.

٢- تشويه سمعة نظام وطني واتهامه باعمال لم يقم بها، وذلك من أجل التشكيك بمبدأيته.

٣- كشف الوكلاء السياسيين الذين انتهى دورهم بهدف التخلص منهم واحلال بدائل عنهم ذوي سمعة وطنية تستقطب الجماهير لتنفيذ مخطط ما.

٤- الايحاء بدور المخابرات الأجنبية في حماية واسقاط الأنظمة السياسية في العالم الثالث لخلق حالة من عدم الثقة بتلك الأنظمة.

٥- القيام بلعبة محاربة عملاء (اسرائيل) اعلامياً لاعطائهم غطاء للثقة الجماهيرية بهم.

٦- خلق حالة من الشعور باليأس والاحباط في نفس القوى الوطنية (الردع الداخل) حتى تشك في توفر القدرة لديها للنيل من المصالح الأجنبية.

٧- طرح أفكار جديدة يشك بالقدرة على تنفيذها وجس نبض الاستعداد لتقبل تلك الافكار من خلال دراسة ردود الفعل عليها.

٨- تقديم معلومات زائفة عن قضية من قضايا المنطقة وترك الأطراف ترد على تلك المعلومات والهدف من ذلك هو معرفة النوايا والاتجاهات المستقبلية.

٩- تقديم معلومات دقيقة وصحيحة عن قضية ما، ثم تقديم معلومات زائفة حول قضية اخرى لتكون الحالة الاولى في هذه المعلومات غطاء منطقياً لمصداقية المعلومات الزائفة.

ان (اسرائيل) تعلن صراحة عن كل عمل نفذته او ستقوم بتنفيذه. فما هدفها من ذلك واننا نسلك نهجاً استفهامياً في هذا الجانب لاخبريا ونتساءل: لماذا تنفرد (اسرائيل) وتتميز في عملية الصراع العربي الاسرائيلي بالاعلان عن كل عمل تقوم به؟ لعل ذلك يدفعنا وغيرنا من العرب فعلاً الى الاطلاع والتفكير!. ونفكر أولاً بتفكير الطرف الآخر.... ماذا يفعل؟ ماذا ينتوى؟ وماذا يعتقد؟ وما يريد؟.

وفي الختام نشير الى ان مايحكم التعامل النفسي الاسرائيلي هو النفسية الاسرائيلية، وان أهم مافي النفسية الاسرائيلية من سمات هو ماذكره عالم النفس اليهودي روبنشتين في ملاحظاته الشخصية عن النفسية الاسرائيلية قائلا: ان «الاسرائيليين كأفراد وكمجتمع يتسمون باتجاهات شك عميق الجذور تجاه الآخرين، وهذا الشك في رأيه يسود العلاقات الشخصية في اسرائيل، ويكشف عن نفسه في كل تفاعل مع العالم الخارجي، وهو يصف ثلاثة مستويات من الشك والرفض، المستوى الأول موجه ضد العرب، والمستوى الثاني موجه ضد العالم غير اليهودي، والمستوى الثالث موجه ضد النظم والأجهزة الدولية»[٣٠].

وكذلك نرى ضرورة الاشارة الى موضوع عام يتصل بالبحث وهو ماذكرته غريس هالسل[٣١]، في كتابها (النبوءة والسياسة Prophecy and Politics) عن حجم التأثير النفسي الاسرائيلي على التيار المسيحي المتطرف (الانجيليين الأصوليين)، وفي مقدمة هذا التيار المنظمات التبشيرية «البروتستانت اليمينية» التي تملك محطات التلفزيون الرئيسة الانجيلية[٣٢] في الولايات المتحدة الاميريكية ويطلق على هذه المنظمات وزعمائها تعبير "TV Evangelists" (الانجليين التلفزيونيين الرئيسيين) وذلك لاعتمادها على التلفزة في نشر دعوتها وأفكارها المتطرفة المؤيدة للصهيونية واسرائيل[٣٣].

وتتضمن برامج هذه المنظمات التلفزيونية وتؤكد على ان اليهود هم شعب الله المختار وان ماعداهم اعداء وحتى وان كانوا من الطوائف المسيحية، ناهيك عن العرب والمسلمين بشكل عام، وتهدف البرامج التي تهيئها هذه المنظمات اثبات حق اليهود في ارض فلسطين وقتل سكانها تمهيدا لمجيء المسيح المنتظر الذي فيه خلاص المسيحيين واليهود حسب تفسير هذه المنظمات لنصوص معينة من التوراة والانجيل[٣٤].

الخاتمة

اهتمت الحركة الصهيونية بالدعوة والدعاية وجعلتهما محورا رافق حركتها السياسية في الواقع ، ونرى انه ليس ثمة حركة سياسية معاصرة اهتمت بالتعامل النفسي مثلها وصولاً لتحقيق هدفها في قيام الدولة . ورأت الدولة ان نشاطها في هذا الجانب ليس استمرارا وذا اتصال للعمل الذي تقوم به المنظمة الصهيونية وكل يقوم بنشاطه في طريق مستقل لخدمة قضية واحدة (اليهودية) . وعلى هذا اعتمدت التعامل النفسي في علاقاتها الخارجية وفي تحقيق اهداف معادلة لما تحققه العمليات العسكرية في الصراع العربي الاسرائيلي ، بل اكثر وبدون خسائر بشرية من أجل المحافظة على الاستيطان الاسرائيلي في المنطقة واستمرارية بقائه .

وبإزاء ذلك نرى ان الوطن العربي لم يستطع ان يقف بوضوح على حقيقة هذا التعامل النفسي وأهميته ، وان الذي استطاع تمييزه هو شبح ذلك التعامل وطبعه مما جعله يتعرض الى أكثر من انتكاسة وعلى اكثر من صعيد نتيجة جهله او اهماله بهذا السلاح ومدى خطورته وأهميته بارتكاز الدولة عليه في اوقات كثيرة . ونرى ان الوطن العربي مطالب اليوم وفي كل يوم بالانتباه الى ذلك العنصر الخطير الذي يمس حياة الدولة وسيادتها وسلامتها ويمس مصالح الوطن العربي في الداخل والخارج بشكل خاص ، وانه بحاجة الى كوادر فكرية علمية متخصصة في فن وعلم التعامل النفسي لكشف عناصر ووسائل التعامل النفسي الاسرائيلي وتعطيل فاعليتها .

الهوامش

(١) أنيس صائغ ، مقدمة كتاب ، د. حامد عبدالله ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية ، دراسات فلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

(٢) د. حامد ربيع ، الحرب النفسية في الوطن العربي ، دار واسط ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٣٣.

(٣) لويس معلوف ، المنجد ، ط ١٨ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٦ .

(٤) للتفصيل عن الدعاية ، انظر:

- د. حامد ربيع ، الحرب النفسية ، مرجع سبق ذكره ، هامش ص ص ٥٣- ٥٤ .
- شاذل طاقة ، في الاعلام والمعركة ، مجلة دراسات عربية ، عدد ١١ (ايلول ١٩٦٨) ، ص ٢٩ .
- د. عباس الحسني ، علم النفس العسكري ، جزء (١) بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ص ١٦١ - ١٧١ .
- د. احمد سويلم العمري ، الرأي العام والدعاية ، القاهرة ، د. ت ، ص ص ٨٩- ٩٣.
- سعد الدين خضر ، الرأي العام وقوى التحريك ، الموصل ، ١٩٦٨ ، ص ٨٥.

(٥) د. حامد ربيع ، الحرب النفسية ، مرجع سبق ذكره ، هامش ص ٣٣.
(٦) سعدالدين خضر، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٥.
(٧) د. احمد سويلم العمري ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٥.
(٨) د. حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩.
(٩) فؤاد دياب ، الرأي العام وطرق قياسه ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦.
(١٠) د. عباس الحسني، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٥.
(١١) د. حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٣.
(١٢) قيس عبدالفتاح مهدي ، الحرب النفسية مدخل عام ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، جامعة بغداد ، العدد ٣ (١٩٨١) ، ص ٣٤.
(١٣) د. حامد ربيع ، الحرب النفسية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٤- ٣٥.
(١٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥.
(١٥) د. احمد باسل البياتي «ستراتيجية الرعب الاسرائيلية» ، مجلة الأمن القومي ، بغداد ، العدد ٤ (١٩٨٩) ، ص ص ٢٣٤- ٢٥٢.
(١٦) د. حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٠- ٩١.
(١٧) المرجع نفسه ، ص ص ٩٢- ٩٣.
(١٨) المرجع نفسه ، ص ص ٩٠- ٩١.
(١٩) المرجع نفسه ، ص ص ٩٧- ١٠٠.
(٢٠) الكتاب المقدس- العهد القديم ، سفر التكوين ، الاصحاح (١٥) ، الآية (١٨).
(٢١) د. حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الاسرائيلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠١.
(٢٢) المرجع نفسه ، ص ص ١٠١. ١٠٥.
(٢٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٢.
(٢٤) د. حامد ربيع ، حرب اكتوبر، الصراع الدعائي بين المزيمة والنجاح وتطور عملية المواجهة العسكرية حول مشكلة الشرق الاوسط ، مجلة قضايا عربية ، بيروت ، العدد ٧- ٨ (١٩٧٥) ، ص ٥٩.
(٢٥) د. حامد ربيع ، الحرب النفسية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٣.
(٢٦) المرجع نفسه ، ص ص ٨٣- ٨٤.
(٢٧) فارس المنصوري ، الاساليب الصهيونية في الضغط والتحريف والتشهير ، مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٤٦ (حزيران ١٩٧٥) ، ص ص ١٦٨- ١٦٩.
(٢٨) عقيل هاشم وسعيد العظم ، اسرائيل في اوربا الغربية ، دراسات فلسطينية بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٣٧.
(٢٩) للتفصيل : امين هويدي ، في السياسة والأمن ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٤٠- ١٥٣.
(٣٠) السيد يس ، قراءة سياسية لخريطة الشخصية الاسرائيلية- الأهرام ، ٢/ حزيران/ ١٩٧٣.
(٣١) غريس هالسل ، كاتبة وصحفية اميريكية ، عملت مراسلة في فيتنام ، اختارها الرئيس لندن جونسون للعمل معه ككاتبة في البيت الأبيض ، لها عدة كتب منها كتب تعالج مشكلة السود في المجتمع الاميركي بدأ اهتمامها بمنطقة الشرط الأوسط ، وزارات فلسطين عدة مرات ، واخذت تتابع تطورات الاحداث في المنطقة . وقد أثار انتباهها التيار المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة الاميريكية المؤيد للصهيونية واسرائيل.
للتفصيل ، انظر:
غريس هالسل : النبوءة والسياسة (الانجيليون العسكريون في الطريق الى الحرب النووية) ، ترجمة : محمد السماك ، ط ٣ (١٩٩٠) ، ص ٨.
(٣٢) المرجع نفسه ، ص ص ٩- ١١.
(٣٣) المرجع نفسه ، ص ص ١٧- ٢١ ، ص ٣٥.
(٣٤) المرجع نفسه ، ص ص ٢١- ٢٥.